عصور - تصنيف ج- المجلد 21 / العدد01 - جويلية 2022
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال 10.54239/2319-021-001-016 (DOI)

إسهامات المزابيين في مجال التطبيب والاستشفاء خلال الثورة التحريرية 1954 – 1962م

Contributions of the Mozabites in the field of medicine and hospitalization in the liberation revolution 1954 – 1962

د. بوسعدة محمد*
جمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيش لخدمة التراث
غرداية، الجزائر
boussada-mohammed@univ-eloued.dz

تاريخ الإرسال: 2022/11/20 تاريخ المراجعة: 2021/12/01 تاريخ القبول:2022/06/28

الملخص:

لما اندلعت الثورة التحريرية التحم الشعب الجزائري حولها بمختلف شرائحه، وساندها ماديا ومعنويا؛ إيمانا منه بوجوب الكفاح لتحرير البلاد من قبضة المحتل الفرنسي، وعلى إثر هذا المبدإ، فإن الجزائريين أسهموا بجهود معتبرة في إنجاح العمل الثوري، سواء أكان ذلك بالمشاركة في المعارك أو بتوفير التموين أو بالإسهام في الخدمات الصحية لفائدة الثورة، وضمن هذا المجال الأخير برز العديد من الأطباء والممرضين الجزائريين في صفوف الثورة، استجابة منهم لنداء الكفاح وتحرير الوطن من ربقة المستعمر الفرنسي، وقد بادروا بمداواة المجاهدين والمرضى والمصابين في المعارك الحربية، وتحدوا متابعات السلطة الاستعمارية الفرنسية ومضايقاتها وتجاهلوها إثر نشاطهم الثوري، وكان من بينهم الأطباء والممرضين المزابيين الذين وثقت أسماءهم تقارير الإدارة الفرنسية والكتابات التاريخية العربية والأجنبية، ومن بين هؤلاء الأطباء أذكر الطبيب ترشين إبراهيم والطبيب قضي بكير، والطبيب باباعمر جلمام عبد الرحمن، والممرضة مريم عبد العزيز. وقد استشهد منهم الطبيب ترشين إبراهيم

* بوسعدة محمد، جمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث – غرداية، الجزائر.

وقضي بكير والممرضة مريم عبد العزيز في صفوف الثورة بالجبال في معارك ضارية ضد قوات الاحتلال الفرنسي.

الكلمات المفتاحية: المزابيون؛ بني مزاب؛ المجاهدون المزابيون؛ الأطباء المزابيون؛ غرداية؛ الثوار المزابيون؛ وادي ميزاب؛ الإباضية.

Abstract :

When the liberation revolution erupted, the Algerian people gathered around it in its various segments, and supported it financially and morally, believing in the necessity of a struggle to liberate the country from the grip of the French occupier. By contributing to health services for the benefit of the revolution, and within this latter field, many Algerian doctors and nurses emerged in the ranks of the liberation revolution in response to the call to struggle and liberate the country from the clutches of the French colonizer. Their revolutionary activity, and among them were the Mozabite doctors and nurses whose names were documented by French administration reports and Arab and foreign historical writings. Among these doctors, I mention the Dr Tirichine brahim, the Dr: Gaddi bakir, the Dr: babaammar djalmam abderrahmane, and the nurse meriem abdeaziz. Dr Tirichine brahim, Dr: Gaddi bakir and nurse meriem abdeaziz were martyred among them in the ranks of the revolution in the mountains in fierce battles against the French occupation forces.

Keywords : Mozabite; Beni M'zab; The Mozabite Mujahideen; Mozabite doctors; Ghardaia; The Mozabite rebels; M'zab valley; Ibadi

مقدمة:

يعتبر تاريخ اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية منعرجا حاسما في تاريخ الجزائر، إذ بداية من سنة 1954م خاض الشعب الجزائري معارك ضارية ضد المستعمر الفرنسي في إطار مسعاه التاريخي لتحرير البلاد من ربقة المستعمر واسترجاع سيادتها الترابية، ولأهمية هذا المسعى سارع الجزائريون بمختلف شرائحهم وأطيافهم إلى احتضان الثورة، والتضحية بأموالهم وأنفسهم تلبية لنداء الجهاد.

فمن الشرائح الاجتماعية الجزائرية التي ساندت الثورة التحريرية منذ البداية المزابيون الذين ناضلوا في صفوف الثورة التحريرية في مختلف جهات الوطن كغيرهم من

الجزائريين، في ميادين ومجالات عدة؛ كالمشاركة في المعارك والإسهام في تموين الثورة وتقديم الخدمات الصحية، وضمن هذا المجال الأخير برز فيه العديد من الأطباء والممرضين، منهم الطبيب ترشين إبراهيم، والطبيب قضي بكير وباباعمر جلمام عبد الرحمن والممرضة مريم عبد العزيز وغيرهم، كما ساهموا في تسخير مراكز استشفائية في خدمة الثورة التحريرية كمستشفى ريفيا، وساهموا كذلك في تقديم وتسخير التموين الطبي لفائدة الثورة التحريرية من أدوية وآليات طبية إيمانا منهم بوجوب تظافر الجهود بين الجزائريين جميعا لتحرير البلاد واسترجاع السيادة الوطنية.

إن القيام بدراسة تاريخية حول إسهامات المزابيين في مجال التطبيب والاستشفاء في الثورة التحريرية 1954 – 1962م يعد على جانب من الأهمية في معرفة جزئية من المجال الصحي خلال حرب التحرير 1954 – 1962م، ومعرفة دور الأطباء الجزائريين خلال حرب التحرير من خلال دراسة بعض النماذج، وهو ما يطرح الإشكالية الآتية: فيما تمثلت جهود المزابيين في مجال التطبيب والاستشفاء في الثورة التحريرية؟ ومن هم أبرز الأطباء والممرضين الذين برزوا في هذا المجال؟ وفيما تمثل التموين الطبي الذي ساهموا به في الثورة التحريرية؟.

ولتحقيق المبتغى من هذه الدراسة استعنت بالمنهج التاريخي المبني على الوصف والتحليل في دراسة المعلومات الواردة في المصادر والمراجع والوثائق، مع استخدام المنهج المقارن في مقابلة المعلومات بين الأوعية المعرفية المشار إليها، وقد تمكنت من معرفة مدى إسهام المزابيين في الثورة التحريرية في المجال الصحي، وما هي الجهود البشرية والمادية المسخرة في هذا المجال.

1- المزابيون و انطلاق الثورة التحريرية:

كان التجار المزابيون خلال الفترة الاستعمارية يمارسون نشاطهم التجاري في مختلف مدن التل الجزائري كقسنطينة بون، قالمة، الجزائر، المدية، وهران (:1930 René Lespès, 180 - 513).

وخلال حرب التحرير كانوا لا يزالون يمارسون نشاطهم التجاري في هذه المدن، وقد بادروا إلى حمل لواء الجهاد مع بقية إخوانهم الجزائريين، وبرز ذلك جليا بعد اللقاء الذي تم بين مفدي زكرياء (تعليق 1) ورباح لخضر وبن يوسف بن خدة من أجل صياغة

النشيد الوطني قسما، فطلب منهما مفدي زكرياء إيقاف المقاطعة التجارية المستهدفة للتجار المزابيين، كما طلب الشيخ بيوض إبراهيم (تعليق 2) كذلك من قادة الجبهة القيام بمساعي لوقف المقاطعة، وفي هذا الصدد جاء في إحدى الكتابات ما نصه: "بدأ سي فريد حملته بلقاء مع الزعيم الروحي للجماعة المزابية الشيخ بيوض الذي تمكن من الاتصال به بواسطة المناضل الحاج أيوب (تعليق 3)، كان الشيخ بيوض يومئذ ما يزال تحت صدمة العمليات الاستفزازية الدنيئة التي نفذتها عناصر مصالية بتحريك من المخابرات الاستعمارية، متأثرا بالدعاية التي تنفخها أبواق العدوّ، لذلك راح يحتج لدى سي فريد على الجبهة وما تقوم به من مناكر في حق الإخوة المزابيين" (عباس محمد، 2005: 213).

فرد رباح لخضر المدعو سي فريد أن الهجمة التي يتعرض لها التجار المزابيون، إنما هي مناورة استعمارية، هدفها تحييد المزابيين عن مساندة جبهة التحرير، وعدم تركهم يقدمون الدعم المادي والمعنوي للثورة (ناصر محمد، 1990: (و)).

كما تبين أنّ الإدارة الاستعمارية كانت تحيك خيوط هذه المؤامرة بطريقة خبيثة من أجل استهداف الثورة، ولكن جبهة التحرير الوطني تنبهت لهذه المؤامرة فأحبطتها، وتمكنت من إبعاد كل ما من شأنه أن يضر بالعمل التحرري، فقد طلب المناضل بن يوسف بن خدة من الشيخ بيوض دعم بني مزاب للثورة، وجاء في حديث له، قائلا:"...وباسم الجبهة، خاطبنا الشيخ بيوض وطلبنا منه المضاعفة والمزيد من مشاركة إخواننا الميزابيين في العمل ضمن جبهة التحرير الوطني، خاصة في ميادين التجنيد ومراكز الإيواء والاتصال والمواصلات والبريد، وهلم جرا... وطلبنا منه ذلك بالخصوص في الجزائر العاصمة" (بن خدة بن يوسف، 2004: 280).

وبعد اجتماع الشيخ بيوض بقادة الجبهة، صار يحث المزابيين على الدعم الكامل للثورة ونصرتها من أجل تحقيق الاستقلال، وفي هذا الشأن يذكر في مذكراته قائلا: "كنت أمر ببعض البلاد التي فيها أقارب أو مصالح في التل فأحرض أهلها على العمل الجدي لإنجاح الثورة وكان أكثر العاملين فيها من تلامذتي الذين عرفت فيهم روح الوطنية ومن إخواني الذين ربتهم على الوطنية دروسي العامة، وخاصة البليدة والعلمة

وباتنة التي شاركت في كثير من أعمالها في مناسبات واتخذنا مراكز للإيواء وأخرى للبريد، وأحكمت الصلة بين أبنائنا وبين مسؤولي الجبهة..." (بيوض إبراهيم، 2016: 20).

كما تؤكد العديد من تقارير الإدارة الاستعمارية الفرنسية دعم المزابيين ومساندتهم لجبهة التحرير، ومن أبرزها إشارة تقرير بقيام منظمة متكونة من مجموعة أشخاص بجمع التبرعات من المزابيين الموجودين في غرداية أو في مدينة الجزائر وضواحيها لفائدة جبهة التحرير، وبعد توقيف عدد من الأشخاص في بني يزجن بوادي مزاب، غيرت المنظمة طريقة جمعها للأموال، وقد تم اكتشاف أعضاء هذه المنظمة، وهم الآتية أسماؤهم: الشيخ بيوض إبراهيم من القرارة، دواق (تعليق 4) تاجر من بني يزجن، الحابيت صالح تاجر مواد غذائية في باب الواد من غرداية، بودي الحاج محمد ابن عم قايد بريان، بن يوسف سليمان (تعليق 5) تاجر مواد غذائية بميزون كاري من العطف، دودو باعيسى بن داود (تعليق 6) عامل بشركة الفتح والنور من بنورة، بجاح محمد بن باحمد (تعليق 7) باش عادل بالمحكمة الإباضية، خرفي عمر بن بكير تاجر في مدينة البليدة من القرارة، وجهلان عمر من القرارة (A.O.M, 12/08/1957).

وأثبت تقرير آخر للإدارة الاستعمارية الفرنسية قيام أشخاص مزابيين في مدينة تيارت بجمع الأموال لصالح جبهة التحرير من بين أوساط التجار المزابيين في نفس المدينة، وكان يقوم بهذه المهمة كلا من فرطاس إبراهيم وجهلان يوسف (تعليق 8) اللذين يمارسان نشاطهما التجاري بمدينة تيارت، أحدهما في 16 شارع كامبون (Cambon)، و الآخر في 23 شارع كرونستاد (kronstadt)، ويساعدهما التاجر حني صالح، الناشط هو الآخر في 02 شارع كامبون (A.O.M, 4/12/1957).

2- نماذج من الأطباء والممرضين المزابيين في صفوف الثورة:

يعد مجال الصحة من المجالات الأساسية والهامة التي ارتكزت عليه الثورة الجزائرية، لأنه لا يتصور القيام بأي عمل ثوري أو تحرري دون تعرض القائمين به لإصابات وجروح واختناقات، أو حتى في صفوف القاعدة الشعبية المحتضنة له، وللأهمية البالغة لمجال الصحة فإن قادة الثورة فكروا فيه وأعدوا له العدة بكل ما أوتوا من جهود، وسخروا له مختلف الآليات والأشخاص، وفي هذا الشأن فقد: "وضعت جبهة

التحرير الوطني الجانب الصحي في مقدمة اهتماماتها، إذ كان القصف المدفعي، والقنبلة الجوية تنال المجاهدين والمواطنين على السواء، وكان ذوو الاختصاص من الشعب الجزائري قليلون جدا". (بومالي أحسن، 2010: 355).

فقد كانت الخدمات الصحية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتنظيم الثوري خلال حرب التحرير، ولذلك فإنه كان: "... لتنظيم الرعاية الصحية علاقة مباشرة بالتنظيم الإقليمي لجيش التحرير الوطني فضلا عن الطب والتمريض الميداني الذي يقدم الإسعافات الأولية، لدرجة أن المسؤول الصحي كان على مستوى كل القيادات من الولاية إلى القسمة". (عباس محمد الشريف، 2005: 65).

وللأهمية البالغة للجانب الصحي في حرب التحرير، فإن الأطباء والممرضين كانوا من جملة الأعضاء الأساسيين المشاركين في الاشتباكات والمعارك ضد المحتل، وكان وجودهم ضروريا في مراكز الثورة، ليقوموا بمداواة المجاهدين والمواطنين كلما دعت الضرورة لذلك. (المنظمة الوطنية للمجاهدين، 1986: 11).

2-1- نماذج من الأطباء المزابيين في صفوف الثورة:

- الطبيب ترشين إبراهيم:

من الأطباء المزابيين الذين تركوا بصمتهم في سجال النضال والمشاركة في الثورة التحريرية في المجال الصحي الدكتور ترشين إبراهيم، وقد نشأ بمدينة بني يزجن بوادي مزاب، وجاء الحديث عن نشأته وتكوينه في معجم أعلام الإباضية بما نصه: "ولد إبراهيم ترشين 1926م، من بني يزجن بميزاب، تلقى تعليمه الأول في مدرسة الاستقامة بقالمة والمدرسة النظامية بها، ثم التحق بتونس سنة 1361هـ/ 1942م، وانضم إلى المدرسة الصادقية، حيث تخرّج فيها سنة 1365هـ/ 1946م، ودرس في الأقسام التحضيرية للطب بها، ثم دخل كلية الطب بالجزائر فتخرّج فيها سنة 1372هـ/ 1953م طبيبا جراحا في اختصاص الدماغ. اشتغل طبيبا في مستشفى الأمراض العقلية بالبليدة المسمى مستشفى فرانس فانون، والتحق بصفوف جبهة التحرير الوطني في مستهل سنة 1955، حيث عمل ضابطا برتبة نقيب". (بحاز إبراهيم - باباعمي محمد ، 2009: 19).

درس مهنة الطب في جامعة الجزائر، وحصل فيها على شهادة الدكتوراه، وبعد التحاقه بصفوف الثورة أصبح يداوي الجرحى والمجاهدين في مستشفى فرانس فانون

بالبليدة، ويساهم في تسخير الأدوية للأطباء (المنظمة الوطنية للمجاهدين، نبذة تاريخية عن حياة الشهيد ترشين إبراهيم).

كما اشتغل في مستشفيات أخرى، كمستشفى مصطفى باشا ومستشفى مليانة ومستشفى الأمراض العقلية في جوانفيل، وكان يرافق الطبيب فرانس فانون في عمله الطبي، أين مكنه من تطوير معارفه الطبية والسماح له بممارسة مهنته بحرية في المستشفى دون شروط أو قيود. (إبراهيم ترشين شهيد برتبة طبيب، 2016).

كان يداوي المرضى في عيادة بحي القصبة، وفي نفس الوقت يداوي المجاهدين والمصابين في المعارك متسترا بعمله الطبي العادي، (إبراهيم ترشين شهيد برتبة طبيب، 2016)، فأدى ذلك إلى اكتشاف أمره من طرف المخابرات الفرنسية فقامت بتحطيم سكنه بالبليدة وعيادته بالقصبة، وإتلاف لوازمه الطبية. (النوري حمو محمد عيسى، 2015: 274).

وقد توجهت الشرطة الفرنسية إلى المكان الذي تقطن به عائلته في البليدة فلم تعثر عليه لاختفائه في إحدى محلات أقربائه، ولما أدرك أن لا سبيل إلى العودة إلى مهنته الطبية دون أن يتعرض إلى السجن والتضييق والتعذيب، قرر الالتحاق بصفوف المجاهدين في الجبال في المنطقة الثانية بالولاية الرابعة سنة 1956م، لإدراكه أهمية وجود طبيب مع المجاهدين يسعفهم ويداويهم إذا ما تعرضوا إلى إصابات أو وعكة صحية، (مجاهد يمينة، 2018: 519). وكان يلازم كثيرا العقيد عميروش إلى أن توفي هذا الأخير .(بحاز إبراهيم – باباعمي محمد، 2009: 19).

ولقد أقر لصهره مفدي زكرياء وأحد أقربائه بقوله: "إنني قررت أن ألتحق بالمجاهدين في الجبال لأقاوم المحتل الفرنسي، وكونوا متأكدين بأنني لن أعود حتى تستقل الجزائر، وإذا كتب لي الله أن أتوفى في الجبال فتلك هي أمنيتي وإني راض بها". (إبراهيم ترشين شهيد برتبة طبيب، 2016).

كان إبراهيم ترشين يبقى إلى جانب المصابين والجرحى في مخابئ المجاهدين في الجبال، لعدم تمكنه من التنقل كثيرا بسبب ما تعرضت له رجله سابقا في حادث مرور، وقد راسل أهله ليطمئنهم عن أحواله ويخبرهم عن ممارسته الطبية والقتالية إلى جانب المجاهدين ضد العدو، (إبراهيم ترشين شهيد برتبة طبيب، 2016)، واستمر على هذا

المنوال إلى أن توفي أواخر سنة 1959م بالمنطقة الثانية بالولاية التاريخية الرابعة. (المنظمة الوطنية للمجاهدين، 1986: 9).

- الطبيب قضي بكير:

يعتبر الدكتور قضي بكير من الأطباء المزابيين الذين ناضلوا في صفوف الثورة التحريرية في المجال الصحي، فقد ولد هو الآخر في بني يزجن بوادي مزاب يوم 16 نوفمبر 1928، ونشأ وترعرع فيها، وجاء الحديث عنه في معجم أعلام الإباضية بما نصه: "طبيب من مدينة بني يزجن، زوال تعلمه في ابتدائية سوق أهراس بشرق الجزائر، ثم انتقل إلى ثانوية عنابة سانت أوقيستان، فتحصل على الباكالوريا، فالتحق بكلية الطب بفرنسا، وهو من الأوائل الذين تخصصوا في الطب من مزاب بخاصة، ومن الصحراء الجزائرية بعامة، أنهى دراسته سنة 1954م". (بحاز إبراهيم – باباعمي محمد، 2009: 20).

بدأ ممارسة مهنته الطبية في مستشفى موريس لوستان بالمغرب (Algerie, 1957)، ثم التحق بصفوف جيش التحرير الوطني إلى جانب الأطباء المجاهدين سنة 1955م، وبالتحاقه بصفوف الثورة صار من الملاحقين من طرف الأمن الفرنسي، وقد ورد ذكره في وثيقة فرنسية أنه يسمى بكير ويدعى بشير. (Témoins-de-l'histoire).

استشهد في معركة ضارية ضد العدو الفرنسي سنة 1960م بجبال الونشريس في الولاية الرابعة التاريخية. (المنظمة الوطنية للمجاهدين، 1986: 8)، (المنظمة الوطنية للمجاهدين، 1986: 35).

- الطبيب باباعمر جلمام عبد الرحمن:

يعتبر الدكتور باباعمر جلمام عبد الرحمن من جملة الأطباء الذين سجلوا حضورهم في صفوف الثورة. ولد في مدينة العطف بوادي مزاب في الفاتح من سبتمبر سنة 1923، درس تخصص الطب في جامعة ليون بفرنسا، وحصل فيها على شهادة الدكتوراه يوم 03 جويلية 1954، وفي أوائل أكتوبر 1954 استقر في مدينة غرداية ليمارس فيها عمله الطبي. (بن ادريسو صالح، 2020: 118).

وقد جاء الحديث عنه في خطاب للشيخ إبراهيم بيوض، بمناسبة مؤتمر قدماء التلاميذ بغرداية يوم 29 جويلية 1954م بما نصه: "فإذا هنّأت الدكتور عبد الرحمن

فلِما توسّمت فيه من كريم الأخلاق وحسن المعاملة، فشهوده حفلاتنا ومجالسنا أكبر دليل على ما أقول، فهو اجتماعي في تربيته، إنه اجتماعي شعبي بسيط لم يتكبر بعلمه، ولم يغتر به كما اغتر بعض الشباب أمثاله، ذلك الذي يرى أن وطنه الصغير مزاب أقل منه، ووطن الجزائر لا يحمله، يحتقر أمته ووطنه لأنه شدا بعض مسائل يجهلها كثير من الناس". (شريفي بالحاج، 2009: 277).

انخرط الطبيب بابا عمر جلمام عبد الرحمن في صفوف جبهة التحرير الوطني بمدينة الجزائر وكان يداوي المجروحين والمصابين من المجاهدين، وكانت له علاقات مع المناضلين في مدينة باريس بفرنسا. (ناصر محمد صالح، 2014: 148).

ورد اسمه في تقرير فرنسي منشور في دراسة لصالح بن ادريسو، ومما جاء فيه: "إن المدعو بابا عمر عبد الرحمن طبيب شاب مزابي، فتح منذ مدة عيادة طبية في مدينة غرداية". (بن ادريسو صالح، 2020: 241).

وكان يداوي في مدينة العطف المجاهدين الذين تعرضوا لجروح وإصابات رفقة الممرض الحاج عيسى محمد في دكان عيسى إبراهيم المتواجد في زنقة آل زرقون. (بكلي بابه، 2006: 36).

كما جاء ذكره على لسان الملحق العسكري الفرنسي بغرداية كلان كلاش، الذي أكد أنه كان يداوي المواطنين والمجاهدين في سرية تامة بواي مزاب، ثم انتقل إلى العمل في واحة فكيك المغربية في صفوف الثورة هناك بأمر من جبهة التحرير، ثم سافر إلى فرنسا ليعود منها بعد الاستقلال. (Kleinknecht Charles, 2000 : 318).

2-2- نماذج من الممرضين المزابيين في صفوف الثورة:

- الممرضة مريم عبد العزيز:

إن الممرضة مريم عبد العزيز من النساء اللواتي سجلن حضورهن إلى جانب إخوانهن المجاهدين في حرب التحرير، وكانت من إحدى الجزائريات اللائي كن يداوين المجاهدين، ويتولين العديد من المهام الاستشفائية، وقد نشأت بمدينة الجزائر وزاولت تعليمها فيها لتلتحق بالسلك الطبي فيها، وجاء تعريفها في معجم أعلام الإباضية بما نصه: "ولدت مريم بنت عبد العزيز، عبد العزيز يوم 4 جويلية 1937م، شهيدة من شهداء الثورة التحريرية الجزائرية المباركة، وهي من بني يزجن. درست في مدرسة

الأمومة، ثم زاولت التعليم الابتدائي إلى أن تحصلت على الشهادة الابتدائية، ولم تواصل المرحلة الثانوية لظروفها العائلية، والتحقت بمدرسة الممرضات فتحصلت على شهادة ممرضة. باشرت مهمتها في المستشفى الجامعي بالجزائر العاصمة، ثم في مستشفى القطّار". (بحاز إبراهيم – باباعمي محمد، 2009: 413).

كما عملت في عيادة الصليب الأحمر التي كانت تحت رئاسة الآنسة لونك بجي المدنية (صلامبي سابقا)، ثم انتقلت بعدها إلى العمل في مستشفى عيسات إيدير للأعصاب (عيادة فيردان سابقا)، خلال فترة تكوينها، ولمّا أتمت مرحلة التكوين التحقت بمستشفى مصطفى باشا لتتوظف فيه، ثم تحولت إلى مستشفى القطار لتستقر بهذا الأخير مدة ثلاث سنوات. (بومالي أحسن، 1984: 10- 11)، (عمران عبد الحميد، 2017: 116).

وبعد مدة من الزمن التحقت مريم عبد العزيز بصفوف جيش التحرير وقد حققت بذلك رغبتها، وكان التحاقها قرارا اتخذته دون علم أفراد عائلتها، حيث تغيبت عن المنزل يومين كاملين، فانتاب القلق عائلتها رغم اطلاعهم لها بتغيبها عن المنزل لمهام طبية، وقد قام والدها بالسؤال عنها، ولما لم يتوصل إلى خبر عنها تيقن عن قيامها بشيء ما كانت تخطط له، وبعد عدة أيام جاء مخبر إلى عائلتها يخبرهم عن التحاق مريم بصفوف المجاهدين، ومشاركتها في حرب التحرير. (بومالي أحسن، 1984: 11 – 12).

وتؤكد المجاهدة زهية مبارك أن مريم عبد العزيز كانت تجاهد إلى جانب المجاهدين بصفوف الجبال، في شهادة لها، أوردها أحسن بومالي، حيث تقول : "هذا وقد أرسلتني الثورة مباشرة إلى الناحية الأولى المنطقة الأولى من الولاية الأولى، وهناك فوجئت بوجود الأخت مريم عبد العزيز التي سعدت أيما سعادة بلقائها، إذ لم يخطر ببالي إطلاقا أن أجدها أمامي، حيث لم يسبق لي أن عرفت بأنها تنتمي لصفوف جبهة التحرير الوطني وكما علمت منها فيما بعد أنها التحقت بصفوف جيش التحرير الوطني في جانفي 1956". (بومالي أحسن، 1984: 12).

وقد رافقت مريم عبد العزيز المجاهدة فتيحة أراتني في العمل الطبي والثوري بمنطقة المسيلة، وكانتا شعلة من النشاط والحماس في الجهاد، وظلتا كذلك إلى أن كلفتهما أحد قيادات جيش التحرير القيام بمهمة في دوار بوحمادو في الحضنة بالولاية

الأولى، وفي يوم 26 فيفري 1957 وقع اشتباك بين مجموعة المجاهدين وقوات العدو بالدوار المذكور، أين أسفر هذا الاشتباك الذي دام لعدة ساعات عن استشهاد فتيحة أراتني والمجاهد سي الهاشمي وأسر مريم عبد العزيز التي كانت مصابة بجروح بالغة، مع المجاهد بوضياف الصديق، وقد تم نقل مريم عبد العزيز إلى مستشفى سطيف من طرف الفرنسيين لتتوفى فيه متأثرة بالإصابات التي تعرضت لها في المعركة. (بومالي أحسن، 1984: 12– 13)، (عمران عبد الحميد، 2017: 119).

-الممرضتين بافضل فاطمة الزهراء وبافضل شريفة بنت محمد:

من النساء المزابيات اللاتي اشتغلن كممرضات في صفوف الثورة التحريرية الأختين بافضل فاطمة الزهراء وبافضل شريفة.

ولدت بافضل فاطمة الزهراء سنة 1920، وكانت تعمل ممرضة مع مريم عبد اللطيف، وتقوم بمساعدة زوجها تفاجيره محمد وأخيها بافضل عمر في معالجة المجاهدين وتحضير الغذاء والأدوية في منزلها بنهج درفان بنواحي بلكور، وكانت تقوم بنقلهم بعد تماثلهم للشفاء خفية عن أنظار العدو. (النوري حمو محمد عيسى، 2015: 258).

أما بافضل شريفة فهي زوجة الشهيد محمد جلمامي الذي توفي يوم 30 مارس 1957، وكانت تساعده في نشاطه الثوري بنواحي الحراش، ولما توفي زوجها بادرت إلى مساعدة أختها في معالجة الجرحى وتحضير الغذاء والأدوية للثوار. (النوري حمو محمد عيسى، 2015: 258).

- الممرض الحاج عيسى بن بالحاج:

من الممرضين الذين سخروا جهودهم لخدمة الثورة الحاج عيسى بن بالحاج والذي كان يقوم بمداواة المجاهدين في شعاب مختلفة بنواحي مدينة غرداية، وكان يتنقل مع فلول جيش التحرير في إطار القيام بمهامه كلما تطلب الأمر، كما كان يقوم بشراء الأدوية كلما طلب منه ذلك. (النوري حمو محمد عيسى، 2015: 406).

3- إنشاء المراكز الصحية لمداوة المجاهدين وتوفير التموين الصحي:

ساهم المزابيون كغيرهم من بقية إخوانهم الجزائريين في إنشاء وتوفير مراكز صحية لمداواة المجاهدين والمصابين في المعارك والمرضى الجزائريين، في أماكن خفية عن

أنظار السلطة الاستعمارية الفرنسية سواء أكان في داخل المدن أو خارجها، في الغابات والجبال، وذلك من أجل سير العمل الثوري وإخفاء المجاهدين والفدائيين المصابين من أنظار العدو. كما ساهم المزابيون أيضا في توفير الأدوية والعتاد الصحي لفائدة الثورة التحريرية، من خلال ما يتم جمعه من الصيدليات ومعامل الأدوية والمعدات الصحية.

3-1- إنشاء مستشفى ريفيا لمداوة المجاهدين:

من بين الأعمال التي تحسب للشيخ إبراهيم بيوض في ميدان الجهاد خلال حرب التحرير، إنشاؤه لمستشفى ريفيا لمداواة المجاهدين سنة 1956م، في مدينة القرارة بوادي مزاب، كان العمل المعلن لهذا المركز الصحي مداوة عامة الناس، ولكن عمله الخفي مداواة المجاهدين والثوار، وكان يداوي فيه الطبيب باباعمر جلمام عبد الرحمن رفقة ممرضة سويسرية، ويؤكد ذلك صالح بن ادريسو في حديثه عن مجهودات الشيخ بيوض النضالية قائلا: "فأنشأ في جانفي 1956م مستشفى ريفيا، تم فيه مداواة الجرحى بإشراف الدكتور باباعمر عبد الرحمن، وبمساعدة ممرضة سويسرية متعاطفة مع الجبهة، والتي غادرت الجزائر في 15 مارس 1956 مخافة أن يكتشف أمرها، ولقد قام بإعانة الشيخ في هذه المهمة السيد إبراهيم القرادي من العطف". (بن ادريسو صالح، 2015: 14).

إن إنشاء مستشفى ريفيا في مدينة القرارة، يؤكد قطعا على النشاط الثوري فيها وفي باقي مدن وادي مزاب، كما يؤكد على العلاقة الوطيدة التي كانت بين الشيخ إبراهيم بيوض ومسؤولي الجبهة.

3-2-إنشاء مستشفى الفحات لمداواة المجاهدين:

من المجهودات التي تدخل ضمن مجال الخدمات الصحية خلال حرب التحرير، إنشاء مستشفى الفحات من طرف المجاهد الحاج محمد بوسعده مع مجاهدين آخرين في ساحة سيدي بلال بالمدينة الجديدة بوهران، لمعالجة المجاهدين الجرحى والفدائيين وغيرهم. وقد كان المجاهد الحاج محمد بوسعده من زمرة الفدائيين بمدينة وهران بداية من سنة 1956م، وكان يعمل إلى جانب كلّ من خديم بن محمد وقدير أحمد وصبان غانم والحبيب بوعلام في شارع الثورة، وفي نهج محي الدين بالمدينة الجديدة. (النوري حمو محمد عيسى، 2015: 198).

ويبدو أن هذا المركز من المراكز الصحية المتنقلة، ويعمل في سرية تامة دون أن يلفت انتباه أنظار الإدارة الاستعمارية، ومكان وجوده لا يبعد عن مقرات الإدارة الفرنسية لإبعاد الشبهة عنه.

3-3- تسخير تفاجيره محمد بن إبراهيم محله التجاري لمعالجة المجاهدين:

من التجار المزابيين الذين سخروا محلهم في خدمة الثورة التحريرية تفاجيره محمد بن إبراهيم في بلكور بالعاصمة بداية من سنة 1955م، فقد اتخذ محله لمعالجة جنود جيش التحرير ومكانا آمنا لاختفائهم فيه، ويقوم بخدمتهم من مأكل ومشرب ومداواة، مما أدى إلى اكتشاف أمره سنة 1957م، فتم تعذيبه واستنطاقه وسجنه مدة ستة أشهر، ثم أفرج عنه لعدم حصول أي معلومة منه، وخلال إضراب الثمانية أيام سنة 1957م تعرض محله التجاري إلى التفجير والتخريب والنهب، لإسهامه في الثورة واستجابته لنداء الإضراب. (النوري حمو محمد عيسى، 2015: 176 – 177).

أصل هذا المركز محل تجاري من الواجهة، ولكن في داخله عيادة طبية تعمل لفائدة الثورة، وقد اتخذ هذا الأسلوب لعدم إلفات انتباه أنظار الإدارة الاستعمارية إليه، فلم تكتشف حقيقته بالرغم من احتكاك الفرنسيين به في إطار النشاط التجاري.

بالإضافة إلى كون صاحب المحل من عائلة مناضلة، إذ سخر أفراد عائلته جهودهم لخدمة الثورة والثوار.

3-4- الإسهام بالتموين الصحي لفائدة الثورة:

يعد التموين من أساسيات قيام ونجاح العمل الثوري، فهو من بين القضايا الأساسية التي قامت عليه ثورة التحرير الجزائرية.

ففي مجال التموين الصحي كان الصيدلي في مدينة غرداية باسة صالح يزود الثورة بمختلف أنواع الأدوية، ويرسلها إلى مختلف مراكز المجاهدين، ويؤكد هذه النقطة أحد المجاهدين قائلا: "نذكر أننا تحصلنا على كميات هامة من الأدوية من الصيدلي الوحيد في غرداية باسة صالح...". (بكلي بابه، 2006: 45).

كما قام السيد باحماني مسعود بشراء وجمع الأدوية من مدينة خنشلة وقسنطينة وإيداعها في محله بمدينة قايس بالأوراس، ثم لتوزع بعد ذلك على مراكز

المجاهدين، ولنشاطه هذا تم اكتشاف أمره من طرف الإدارة الاستعمارية، فقامت باعتقاله وسجنه وتخريب متجره وتشميعه. (النوري حمو محمد عيسى، 2015: 39).

وفي هذا الصدد قام أيضا المناضل ابن الناصر يوسف بن عمر بجمع أنواع من الأدوية من الصيدليات في مدينة الجزائر، ومن معمل صنع الأدوية الذي كان يعمل فيه، وسخرها لفائدة الثورة. (النوري حمو محمد عيسى، 2015: 402 – 403).

وقام كذلك التاجر السكوتي الحاج عمر بن سليمان في مدينة الجزائر بجمع الأدوية بكميات معتبرة وقدمها للثورة، وكان يعمل إلى جانب المجاهد الربيع بوشامة في الحراش وامعمر مولود وبريكي يحيى وزبوش رابح وغيرهم. (النوري حمو محمد عيسى، 2015: 204).

خاتمة:

بعد قيامنا بدراسة إسهامات المزابيين في مجال التطبيب والاستشفاء في الثورة التحريرية، توصلنا إلى مجموعة نتائج، من أهمها:

أن إسهام المزابيين في مجال الخدمات الصحية في الثورة التحريرية كان في العديد من الجوانب تراوحت بين التطبيب والتمريض وتوفير المراكز الصحية والأدوية واللوازم الطبية، إذ سخر كل مجهوداته في سبيل نصرة الثورة، من خلال المنصب والمكان الذي يتواجد فيه.

التحاق العديد من الأطباء المزابيين بصفوف الثورة التحريرية والإسهام بشكل ملحوظ في مداواة المواطنين والمجاهدين خاصة، دون وضع أدنى اعتبار لمتابعة وملاحقة القوات الفرنسية، والتي كانت تعتبر أن كل من ساهم في الكفاح بمختلف الأشكال هو ضد أمن الدولة، ويجب متابعته وسجنه.

لقد تم إنشاء المراكز الصحية والمبادرة بعملها بطريقة سرية دون لفت انتباه أنظار الإدارة الاستعمارية الفرنسية، من أجل مداواة الجرحى والمصابين من المجاهدين والمواطنين، إلا أن ذلك اكتشف أمره من طرف الأمن الاستعماري، وهو ما أكدته تقارير الاستخبارات الفرنسية.

ساهم العديد من التجار المزابيين بتموين صحي متنوع؛ أدوية أدوات، وما إلى غير ذلك من مستلزمات الاستشفاء لفائدة الثورة التحريرية، أملا منهم في استقلال الجزائر واسترجاع سيادتها الترابية.

-التعاليق:

تعليق رقم1: مفدي زكرياء: شاعر الثورة الجزائريَّة، ولد في بني يزجن بميزاب سنة 1908م، ابتدأ مشواره العلمي بأخذ المبادئ الأولى في مسقط رأسه، وفي سنة 1343هـ/1924م انتقل إلى تونس ضمن بعثة علمية طلاَّبية مزابية، وتعلَّم في مدرسة السلام القرآنية، والمدرسة الخلدونية، وجامع الزيتونة. شارك بدور فعَّال في الحركة الوطنية، إذ عمل في حزب نجم شمال إفريقيا، الذي نظم له نشيده الرسمي عام 1355هـ/1936م، ثمَّ في حزب الشعب فكان من أبرز رجاله. التحق بصفوف الثورة، وذاق بسبب عمله الثوري ويلات المستعمر، وسجن بين سنة 1935-1937م، وبين سنة 1956-1959م. ترك تراثا أدبيا ضخما منه ما لم ير النور بعدُ. توفي يوم 17 أوت 1977م. (بحاز إبراهيم – باباعمي محمد، 2009: 159 – 160).

تعليق 2: بيوض إبراهيم: من أعلام الإصلاح والنهضة الجزائريين، ولد بمدينة القرارة سنة 1899م. دخل المدرسة القرآنية، فاستظهر القرآن الكريم قبل سنِّ البلوغ. وفي سنة 1931م شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فأسندت إليه نيابة أمين مالها. انتخب عضوا في المجلس الجزائري سنة 1948م، واعيد انتخابه سنة 1951م. من فاتح نوفمبر 1954م إلى 19 مارس 1962م، كان محور النشاط الثوري بمزاب بعامة والقرارة بخاصة، يديره بنفسه مباشرة، وبواسطة أبنائه الشباب من تلاميذه. ولعل أبرز موقف عرف به في الثورة التحريرية معارضته بشدة فصل الصحراء الجزائرية. (بحاز إبراهيم – باباعمي محمد، 2009: 20 – 22).

تعليق 3: الحاج أيوب إبراهيم: ولد في مدينة العطف بوادي مزاب سنة 1923، كان محل سكناه بحسين داي بمدينة الجزائر سنة 1955، كان يملك شركة لتجارة الحبوب في شارع (33, avenue de la République)، ثم حولها إلى مخبزة فيما بعد، ناضل في صفوف الثورة بالجزائر وكانت له اتصالات مع العديد من مسؤولي الجبهة فيها. (بن ادريسو صالح، 2020: 69).

تعليق 4: دواق الحاج إبراهيم بن صالح: من مواليد 1910 ببني يزجن، كان تاجرا بمدينة الجزائر، وكان من بين الأعيان المزابيين الذين اتصلوا في مدينة الجزائر بمسؤولي الجبهة عبان رمضان وابن يوسف بن خدة وسعد دحلب ورباح لخضر وغيرهم، من أجل تأسيس خلايا ومراكز الجبهة داخل محلات المزابيين المتواجدة في أحياء غلاة المستعمرين. ولنشاطه الثوري اكتشف أمره من طرف المخابرات الاستعمارية فلاحقته، مما أدى به الأمر التوجه إلى غرداية ومواصلة ناشطه الثوري فيها إلى الاستقلال. (النوري حمو محمد عيسى، 2015: 181).

تعليق 5: ابن يوسف سليمان: من علماء وادي مزاب، له اهتمام بالبحوث التاريخية، توجَّه إلى القرارة لحفظ القرآن الكريم، وتعلُّم مبادئ اللغة العربية والفقه الإسلاميّ، انخرط مبكِّراً في صفوف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، رفقة الشيخ إبراهيم بيوض، وأبي اليقظان، والشيخ عبد الرحمن بكلّي. وبرجوعه إلى مزاب واصل جهاده الإصلاحي، فكان عضوا بارزا للحركة الإصلاحية بالجنوب الجزائري. شارك في الثورة التحريرية بخطب نارية، توقد المشاعر الوطنية وتذكي لهيب الثورة؛ وفي الحراش كان من بين المنظمين لخلايا بني مزاب الثورية في فاتح جوان 1955م رفقة الشيخ بيوض، والشيخ القرادي، والسيد اسماوي اسماعيل. ترك آثارا عديدة بين مؤلَّف وبحث ومحاضرة، ومنها: ثورة أبي يزيد، جهاد لإعلاء كلمة الله، محاضرات ومداخلات في العديد من ملتقيات الفكر الإسلامي. توفي يوم 28 ماي 1992. (بحاز إبراهيم – باباعمي محمد، 2009: 200 – 201).

تعليق 6: دودو باعيسى بن داود: من أبرز التجار المزابيين في مدينة الجزائر. ولد سنة 1908م بمدينة بنورة بولاية غرداية من أب يدعى دودو داود بن بابا عيسى، عاش طفولته في ظروف اقتصادية صعبة تحت كفالة أب احترف الفلاحة والبناء، التحق بالتجارة سنة 1918 في مدينة الجزائر، ليعمل في عدة متاجر، ثم عاد إلى مدينة غرداية ليمارس مهنة الفلاحة والبناء، وفي سنة 1923م عاد مرة أخرى إلى مدينة الجزائر ليشتغل في التجارة، وفي سنة 1948م أنشئت شركة فتح النور، التابعة لجمعية النور وكان من مؤسسيها ومسيريها البارزين. توفي يوم 25 جوان 2007م ببنورة، ولاية غرداية ودفن بها (موسى وعلي بكير – تشعبت محمد، 2012: 21 – 40 – 43 – 75).

تعليق 7: بجاح محمد بن باحمد: من مواليد سنة 1907 بقصر مليكة، ساكن بحسين داي سابقا، محمد خليل حاليا. كان باشعادل في المحكمة الإباضية بمدينة الجزائر سنة 1939، ثم قاضيا في المحكمة نفسها خلفا للقاضي عبد الجبار، بداية من سنة 1957 إلى سنة 1962. توفي في حادث سيارة يوم 19 جويلية 1983. (بن ادريسو صالح، 2020: 128).

تعليق 8: جهلان يوسف: من مواليد القرارة سنة 1891، كان تاجرا في مدينة تيارت خلال الثورة، ولما أسست خلية التجار المزابيين بتيارت التابعة لجبهة التحرير كلفت بتموين جيش التحرير بالمواد الغذائية، وجمع الأموال من التبرعات والاشتراكات، وجمع ما يمكن من الأسلحة والعتاد، وإعداد الملاجئ للجنود والفدائيين، انضم إليها يوسف جهلان وعمل تحت مسؤوليتها، وذلك بداية من سنة 1956. توفي سنة 1977 (أبو العلا محمد سليمان، 2015: 291 – 292).

قائمة المصادروالمراجع:

1 - بحاز إبراهيم – باباعمي محمد، (2009). معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر - قسم المغرب الإسلامي-، ط1، ج2. الجزائر: عالم المعرفة.

2 - بكلي بابه، (2006). تاجنينت (العطف) وثورة التحرير المباركة: مساهمة للمجاهد باحمد بن حمو بكلي بابه "طالب بلال"، بـ ط. الجزائر: جمعية النهضة.

3 - بومالي أحسن، (2010). أداوت التجنيد والتعبئة الجماهيرية أثناء الثورة التحريرية الجزائرية 1954 – 1962، بـ ط، الجزائر: دار المعرفة.

4 - بومالي أحسن، (1984). «الشهيدة مريم عبد العزيز». مجلة 01 نوفمبر. المنظمة الوطنية للمجاهدين، ع69، ص10. ص14.

5 - بيوض إبراهيم، (2016). أعمالي في الثورة، ط2. الجزائر: جمعية التراث.

6 - ترشين إبراهيم شهيد برتبة طبيب. (21. 03. 2016). الجزائر: قناة الجزائرية الثالثة.

7 - بن خدة بن يوسف، (2004). شهادات ومواقف، ط1. الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر.

8- ابن ادريسو صالح، (2015). الشيخ إبراهيم بيوض في قلب الثورة، بـ ط. فرنسا: بـ دن.

9 - ابن ادريسو صالح، (2020). المزابيون على وقع الثورة 1954 – 1962، ط1، ج1. الجزائر: نشر الرستمية.

10- شريفي بالحاج، (2009). «درر ونصائح في الأخلاق والعلم خطاب الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض رحمه الله في مؤتمر قدماء التلاميذ بغرداية (1373/11/29هـ - 1954/07/29)». مجلة الحياة، معهد الحياة وجمعية التراث القرارة، ع13، ص273. ص288.

11 - أبو العلا محمد سليمان، (2015). صفحات من الكفاح لمجاهدي القرارة في الثورة التحريرية، ط2، ج1. الجزائر: جمعية التراث.

12 - عباس محمد الشريف، (2005). من وحي نوفمبر، بـ ط. الجزائر: دار الفجر.

13 - عباس محمد، (2005). رواد الوطنية، ط2. الجزائر: دار هومه.

14- عمران عبد الحميد، (2017). «مريم عبد العزيز الشهيدة في معركة بوحمادو بالسوامع ولاية المسيلة». المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، ع02، ص116. ص120.

15 - مجاهد يمينة، (2018). تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830 - 1962. رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أحمد بن بلة وهران، الجزائر.

16 - موسى وعلي بكير – تشعبت محمد، (2012). دودو بعيسى بن داود حياته ومواقفه، بـ ط، الجزائر: مركب التوفيق.

17 - المنظمة الوطنية للمجاهدين، (1986). تقرير حول أحداث الثورة التحريرية بولاية غرداية للفترة ما بين 1959 و1962. الجزائر.

18 - المنظمة الوطنية للمجاهدين. (بلا تاريخ). نبذة تاريخية عن حياة الشهيد ترشين إبراهيم. الجزائر.

19 - النوري حمو محمد عيسى، (2015). دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، بـ ط، مج2. الجزائر: دار مساحات المعرفة.

20 - النوري حمو محمد عيسى، (2015). دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، بـ ط، مج3. الجزائر: دار مساحات المعرفة.

21 - ناصر محمد صالح، (2014). ذكرياتي ومذكراتي 1357 - 1435هـ/ 1938 - 2014م، ط1، ج1، الجزائر: دار ناصر للنشر والتوزيع.

22 - ناصر محمد، (1990). شاعر الثورة التحريرية مفدي زكرياء في الصحافة الوطنية من جانفي 1986 إلى جويلية 1987، بـ ط، الجزائر: جمعية التراث القرارة.

23 -Kleinknecht Charles, (2000). Administrateur Civil au Sahara une vie au Service de L'Algérie et des Territoires du Sud 1942 - 1962. Paris: L'Harmattan.

24 - Lespès René, (1930). Alger étude de Géographie et D'Histoire urbaines, Paris: Librairie.

25 - Note de Renseignements Collecteurs de Fonds. Tiaret. A.O.M,(4/12/1957)

26 - Note de Renseignement Collecteurs F.L. N. A.O.M, (12/08/1957).

Algerie, D. d. (1957, 11 13). témoins-de-l'histoire. Récupéré sur fecbook.